المنهج الصوفى فى فكر الإمام عبد الحليم محمود الملامح والخطوات

الباحثة: تقى خالد محمد عبد القادر

الملخص:

نشأ الشيخ الإمام عبد الحليم محمود في أسرة كريمة مشهورة بالصلاح والتقوى، فحفظ القرآن الكريم في سِنٍّ مبكرة، وكان والده –رحمه الله– صاحب دين وخلق وعلم، فدخل الشيخ عبد الحليم الأزهر سنة ١٩٢٣م. ثم استكمل الشيخ الإمام دراسته العليا، فنال العَالِمية سنة ١٩٣٢م، بل تطلع لأكبر من ذلك، واختار جامعة السوربون في باريس على نفقته الخاصة، وآثر الشيخ عبد الحليم أن يدرس تاريخ الأديان والفلسفة وعلم الاجتماع، وحصل في كل منهما على شهادة عليا، وفي نهاية سنة ١٩٣٧م التحق بالبعثة الأزهرية التي كانت تدرس هناك، وفاز بالنجاح فيما اختاره من علوم لعمل دراسة الدكتوراه في التصوف الإسلامي، وكان موضوعها: أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي، وفي أثناء إعداد الرسالة قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩م، وآثر كثير من زملائه العودة، ولكنه بالإيمان القوي والعزيمة الصلبة أصر على تكملة الرسالة وبلغ هدفه وتحدد لمناقشتها يوم ٨ من يونيه سنة ١٩٤٠م، ونال الدكتوراه بدرجة امتياز بمرتبة الشرف الأولى، وقررت الجامعة طبعها بالفرنسية.

كان للإمام عبد الحليم محمود مؤلفاته الغزيرة في كثير من المجالات خاصة في مجال التصوف. و في سنة ١٩٧٠م صدر قرار جمهوري بتعيينه وكيلا للأزهر.

أما عن وفاته فبعد عودة الشيخ الإمام عبد الحليم محمود من رحلة الحج في ١٦ من ذي القعدة ١٣٩٨هـ، الموافق ١٧ من أكتوبر ١٩٧٨م.

Summary:

Sheikh Imam Abdul Halim Mahmoud grew up in a decent family famous for goodness and piety, so he memorized the Holy Qur'an at an early age, and his father - may God have mercy on him - was the author of religion, creation and knowledge, so Sheikh Abdul Halim Al-Azhar entered in 1923 AD. Then Sheikh Al-Imam completed his higher

education, he won the universality in 1932 AD, but looked forward to greater than that, and chose the Sorbonne University in Paris at his own expense, and the influence of Sheikh Abdel Halim to study the history of religions, philosophy and sociology, and he obtained in each of them a higher degree, At the end of the year 1937 AD he joined the Al-Azhar mission that was studying there, and he won success in his chosen sciences to do a doctoral study in Islamic Sufism, and his topic was: Professor of Al-Harith bin Asad al-Mahasibi, and during the preparation of the thesis the Second World War erupted in September In the year 1939 AD, and many of his colleagues chose to return, but with strong faith and solid determination he insisted on completing the thesis and reached his goal and was determined to discuss it on June 8, 1940 AD, and he received his PhD with honors with the first class of honor, and the university decided to print it in French.

Imam Abd al-Halim Mahmoud had his prolific literature in many areas, especially in the field of Sufism. And in the year 1970 AD, a Republican decision was issued appointing him as an agent for Al-Azhar.

As for his death, after the return of Sheikh Imam Abdul Halim Mahmoud from the pilgrimage on the 16th of Dhu Al-Qi'dah 1398 AH, corresponding to October 17, 1978 AD

مقدمة

لابد وأن نتعرف إلى شخصية الإمام الجليل عبد الحليم محمود وكيف أصبح من أهم المدافعين فى العصر الحديث من خلال كتاباته عن فكرة التصوف ونشأتها وأصولها،لقد نشأ الشيخ الإمام عبد الحليم محمود في أسرة كريمة مشهورة بالصلاح والتقوى، فحفظ القرآن الكريم في سِنٍّ مبكرة مِمَّا أثار إعجاب قريته ومحفظه، وكان والده –رحمه الله– صاحب دين وخلق وعلم، ذا همة عالية وثقافة، وكان ممن شغفوا بالثقافة الدينية وحلقات الأزهر العلمية، ممَّا كان له الأثر في توجيه ابنه للدراسة بالأزهر، فدخل الشيخ عبد الحليم الأزهر سنة ١٩٢٣م، وظل به عامين ينتقل بين حلقاته، حتى تم افتتاح معهد الزقازيق سنة ١٩٢٥م، فألحقه والده به لقربه من قريته، ثم التحق بعدها بمعهد المعلمين المسائي، فجمع بين الدراستين، ونجح في المعهدين، ثم عُيِّن مُدَرِّسًا، ولكن والده آثر أن يكمل الشيخ عبد الحليم دراسته، فتقدم الشيخ لامتحان إتمام الشهادة الثانوية الأزهرية فنالها سنة ١٩٢٨م.

ثم استكمل الشيخ الإمام دراسته العليا، فنال العَالِمية سنة ١٩٣٢م، ولم يكتف والده بأن يعمل ابنه الشيخ عبد الحليم مُدَرِّسًا بل تطلع لأكبر من ذلك، واختار لدراسة ابنه جامعة السوربون في باريس على نفقته الخاصة، وآثر الشيخ عبد الحليم أن يدرس تاريخ الأديان والفلسفة وعلم الاجتماع، وحصل في كل منهما على شهادة عليا، وفي نهاية سنة ١٩٣٧م التحق بالبعثة الأزهرية التي كانت تدرس هناك، وفاز بالنجاح فيما اختاره من علوم لعمل دراسة الدكتوراه في التصوف الإسلامي، وكان موضوعها: أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي، وفي أثناء إعداد الرسالة قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩م، وآثر كثير من زملائه العودة، ولكنه بالإيمان القوي والعزيمة الصلبة أصر على تكملة الرسالة وبلغ هدفه وتحدد لمناقشتها يوم ٨ من يونيه سنة ١٩٤٠م، ونال الدكتوراه بدرجة امتياز بمرتبة الشرف الأولى، وقررت الجامعة طبعها بالفرنسية.

كان للإمام عبد الحليم محمود مؤلفاته الغزيرة في كثير من المجالات خاصة في مجال التصوف الذي يُعَدُّ من أسبق رواده في العصر الحديث، فقد تبدى مثالا للصوفية المقيدة بكتاب الله البعيدة عن الإفراط والتفريط حتى لُقِّبَ بغزالي مصر وأبي المتصوفين فكانت كتاباته الصوفية لها الحظ الأوفر من مؤلفاته، فكتب (قضية التصوف: المنقذ من الضلال) والذي عرض فيه لنشأة

التصوف وعلاقته بالمعرفة وبالشريعة وتعرض بالشرح والتحليل لمنهج الإمام الغزالي في التصوف، كما ترجم لعشرات الأعلام الصوفيين مثل سفيان الثوري وأبي الحسن الشاذلي وأبي مدين الغوث وغيرهم الكثير.

في سنة ١٩٧٠م صدر قرار جمهوري بتعيينه وكيلا للأزهر فازدادت أعباؤه واتسعت مجالات جهوده، فراعى النهضة المباركة في مجمع البحوث، وبدأ يلقي محاضراته في كلية أصول الدين ومعهد الدراسات العربية والإسلامية، ومعهد تدريب الأئمة إلى جانب محاضراته العامة في الجمعيات والأندية الكبرى بالقاهرة وغيرها من الأقاليم.

وكان مع هذا كله يوالي كتابة الدراسات والمقالات في المجلات الإسلامية الكبرى ويواصل الدراسات ويصنف المؤلفات القيمة ويشرف على رسائل الدكتوراه، ويشارك في المؤتمرات والندوات العلمية وامتد نشاطه إلى العالم الإسلامي كله بنفس الهمة والنشاط.

كما كتب في الفلسفة الإسلامية، ويعد كتابه (التفكير الفلسفي في الإسلام) من أهم المراجع التي تتناول علم الفلسفة بمنظور إسلامي حيث يؤرخ فيه للفكر الفلسفي في الإسلام ويستعرض التيارات المذهبية المتعددة فيه ليبين أصالة الفلسفة الإسلامية، وسبقها الفلسفة الغربية في كثير من طرق التفكير، كما تعرض للغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام في عدة كتب مثل (الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام) و (فتاوى عن الشيوعية).

كما ظهر اهتمامه بالسنة النبوية فكتب العديد من الكتب عن الرسول وسنته، ويعد كتابه (السنة في مكانتها وتاريخها) من أهم كتبه في هذا المجال، كما كتب عن (دلائل النبوة ومعجزات الرسول).

واستعرض الإمام سيرته الذاتية في كتابه (الحمد لله هذه حياتي) والذي جاء خلاصة لأفكاره ومنهجه في الإصلاح أكثر منه استعراضًا لمسيرة حياته، وعَبَّر عن منهجه التفصيلي في الإصلاح في كتابه القيم (منهج الإصلاح الإسلامي في المجتمع)،كما قام بتحقيق الكثير من أمهات الكتب مثل: (لطائف المنن) لابن عطاء الله السكندري، و(اللمع) لأبي نصر السراج الطوسي، و(المنقذ من الضلال) لحجة الإسلام الغزالي وغيرها[١].

أما عن وفاته فبعد عودة الشيخ الإمام عبد الحليم محمود من رحلة الحج في ١٦ من ذي القعدة ١٣٩٨هـ، الموافق ١٧ من أكتوبر ١٩٧٨م قام بإجراء عملية جراحية بالقاهرة فتوفي على إثرها وتلقت الأمة الإسلامية نبأ وفاته بالأسى، وصلى عليه ألوف المسلمين الذين احتشدوا بالجامع الأزهر ليشيعوه إلى مثواه الأخير تاركًا تُرَاثًا فِكْرِيًّا ذَاخِرًا ما زال يعاد نشره وطباعته.

أولاً: مفهوم المنهج الصوفى عند عبد الحليم محمود

اعتمد عبدالحليم محمود على خطوات محددة لتحقيق منهجه الصوفي الذي يبدأ بتزكية النفس واليقظة والتعلم ثم إجلاء البصيرة والتزام رياضات الطريق، فالمنهج عندئذ عند عبدالحليم محمود منهج إسلامى صحيح سليم لا غبار عليه وهو تزكية النفس أو إجلاء البصيرة.

كما ذكر الإمام عبد الحليم محمود فى كتابه "قضية التصوف" إنه منهج فلسفى قد جربه الكثيرون ومنهم الإمام الغزالى، فأول شروط هذا المنهج :تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحه:استغراق القلب بالكلية بذكر الله،وآخره:الفناء بالكلية فى الله.

فالتصوف عند عبد الحليم محمود يُعد قوة روحانية ساعدت فى نشر الإسلام فى الأقطار النائية بالقدوة الطيبة والخلق الكريم،فهذه القوة تحتاج إلى منهج قوى له دعائم قوية تعتمد على تطهير النفس من مذموماتها وزيادة أوصافها الحميدة،حتى يصل المريد إلى غايته وهى التقرب من الله،إن التصوف لدى إمامنا عبد الحليم محمود هو صفاء ملائكى يتطلب سلوكا أو طريقا من الإيمان والإخلاص والصفا والبحث عن الدرجات العليا فى التقرب إلى الله،ويقول أيضا هو نظام الصفوة المختارة الذين وهبهم الله حسًا مرهفًا،وذكاءً حادًّا،وفطرة روحانية وصفاء يكاد يقرب من صفاء الملائكة [٢].

ولقد أختار الإمام عبد الحليم محمود تعريف الكتانى عن التصوف من بين الكثير من التعريفات الخاصة بمعنى التصوف وهو أن التصوف هو صفاء ومشاهدة وان المنهج الصوفى هو تحقيق واقعى لقوله تعالى: قد أفلح من زكاها،لأن هذا التعريف قد جمع بين الطريقة والهدف أو بين السبيل والثمرة فالسبيل هو الصفاء والثمرة هى المشاهدة.

والمشاهدة تعنى أن يشهد المريد أن لا إله إلا الله وهذه الشهادة تعد ترجمة لمعنى الإيمان فهذه هى الحقيقة والطريق إليها قد رسمه الله تعالى بدقة شديدة وبدأها بوصف المؤمنون فى قوله تعالى"التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"[٣] .

ففى أول خطوة للوصول إلى الله هى التوبة التى إذا صدقت ستصبح عبادة لذلك وصف الله التائبون بإنهم عابدون ثم تأتى المرتبة الثالثة وهى الحمد فهنا يسير ويسيح العابد إلى الله حتى يصل إلى السجود الذى يتضمن الخشية الحقيقية[٤].

ففى أول الطريقة تبتدىء للصوفية وهم السالكون لطريق الله،المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى فى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.

كما أن هذا المنهج لا يمكن اكتسابه بالقراءة والتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات كما تحدث الإمام الغزالى فى كتابه"قوت القلوب"،كما قال أيضاً أن هناك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلم يقيناً إنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال.[٥]

كما قال ابن سينا "٤٢٧هـ"حينما أراد أن يحدد طريق البصيرة حتى يصير سر الإنسان مرآة مجلوة، لم يحدده بقراءة وبحث بل بإرادة ورياضة،كما قال أبو الحسن النورى"٢٩٥هـ" يرى أن التصوف لو كان علماً لحصل بالتعلم ولكن الأمر ليس كذلك وليس طريقه تزكية النفس إذن العلم كسبى.

أما عن ثمرة هذا المنهج فقد حددها لنا الإمام عبد الحليم محمود إنه بعد إتباع تلك الخطوات الإسلامية والتى تعتمد بشكل أساسى على تقسيم الإسلام للبشر من ناحية درجتهم عند الله اعتماداً على قوله الكريم"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ اتْقَاكُمْ" فطريق التقوى فى ترقيه وتساميه لا يقف عند حد،فكلما زادت التقوى زاد إكرام الله للإنسان حتى يصل هذا الإكرام إلى درجات لا يتوقعها أحد[٦].

كما يُعبر عن ذلك الحديث القدسى الذى رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن رب العزة جل وعلا:

"من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجْله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه".

كما تحدث الإمام عبد الحليم محمود عن مراتب الوصول إلى طريق الله فقال أن للصوفية طريقاً روحياً يعتمد بشكل أساسى على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم،أما عن جوهر هذا الطريق فهو المقامات والأحوال ويُعرف عبد الحليم محمود المقامات بإنها المنازل الروحية التى يمر بها السالك إلى الله فيقف فيها فترة من الزمن مجاهداً حتى يُهيئ الله له الطريق لسلوك منزل آخر،مثل منزل "التوبة" يهيئ السالك إلى منزل "الورع" إلى أن يصل السالك إلى منزل "الرضا"

ولنبدأ أولاً: بالتوبة الصادقة الخالصة لله التى تتطلب عدم العودة إلى ما كان عليه الإنسان مما نهاه الله عنه،فيجب أن تكون التوبة عبادة وهى المرتبة التى يحبها الله قال تعالى"إن الله يحب التوابين والمتطهرين"[٧].

ويذكر عبد الحليم محمود إن ذى النون قد قال فى التوبة :إن توبة العوام تكون من الذنوب وتوبة الخواص تكون من الغفلة وتصل التوبة فى سموها فتكون مما سوى الله تعالى،ويخبرنا رسول الله أن الله يفرح بتوبة العبد المؤمن فسبحانه وتعالى يتنزل كل ليلة إلى السماء الدنيا عند ثلث الليل الأخير أو شطره فيقول"هل من سائل فأعطيه هل من داعى فاستجب له هل من تائب فأتوب عليه مستغفر فأغفر له حتى يطلع الفجر"[٨].

ثانيا: الورع وهو أن تضع نفسك فى وسط الحلال الصافى وهذا صعب نتيجة ظروف الحياة فالورع هو تحرى الحلال فى كل شئ فيكون فى القلب والحديث والعمل بحيث يكون فى القلب بعدم انشغاله بالتوافه من الخطرات ويتسامى الورع فى القلب حتى يصل إلى إنه يترك كل شئ يُنسيك الله .

أما فى الحديث فيكون بالتورع عن اللغو بجميع أشكاله فهو ترك للفضول وترك لمضيعة الوقت فيما هو غير مفيد كما يكون أيضاً بترك الغيبة والنميمة،أما الورع فى الأفعال يكون بالتحرى فيما يتعلق بالمآكل والمشرب والملبس حتى يكون كل ذلك من حلال طيب.

ثالثاً: الزهد وهو ألا تستعبد الدنيا الإنسان وهذا ليس معناه أن يعزف الإنسان عن مظاهر الحياة من مأكل ومشرب وملبس فالزاهد هو الذى يحقق قوله تعالى "لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ"[٩]،ويتحدث عبد الحليم محمود عن أن هناك جدلاً يُثار حول مسألة الزهد فيما يخص امتلاك المال والثراءأهو مقبول أم مكروه؟ وكيف ملك الأنبياء عليهم السلام ومن بعدهم الصالحين الأموال والضياع؟!

ولقد قال عبد الحليم محمود أن الله أبلاهم فى الدنيا بالسعة ومكّنهم فى الأرض وكانوا إلى الله ساكنين لا إلى شئ وكانوا يُنفذون ما أمرهم به الله فيما يملكون غير مُقصرين ولا مُفرطين وكانوا غير مُتلذذين بما ملكوا ولا مشغولى القلوب بما ملكوا ولا مُنتفعين به دون عباد الله تعالى[١٠].

رابعاً: الرضا والزهد هو جسر للوصول للرضا والرضا هو منزلة فى غاية الدقة فالمؤمن لا مناص له من أن يستسلم لله فى كل أمور حياته وأن يكون راضياً عن كل ما يأتى به القدر لأنه يؤمن بأن الله حكيم ورحمن رحيم.

كما يوضح لنا عبد الحليم محمود أن هناك أيضاً لبس ما حول حال الرضا وهل يتنافى مع العمل والسعى وراء السعة والعز بعد الفقر والضيق؟ هل الرضا هو استسلام للأمر الواقع دون اجتهاد وسعى لما هو أفضل؟

بالطبع الرضا لم يدعونا إلى عدم العمل والارتقاء والتطلع إلى الأفضل ولكن جوهر الرضا هو أن يبذل الإنسان أقصى جهده لكى يصل إلى ما يحبه ويرضاه الله ورسوله ويجب على الإنسان أن يكون مُهيئاً من قبل الوصول إلى مبتغاه إلى القبول والرضا بالنتيجة مهما كانت لأن الله هو الحكيم والرحيم وإليه عاقبة الأمور،قال تعالى "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا " [11]،فالمؤمنون يبايعون على الجهاد فى سبيل [12] إعلاء كلمة الله ولقد رضى الله عنهم.

هذه هى مراتب الوصول لطريق الله أما عن الدخول فى الطريق فلقد أوضح الإمام عبد الحليم محمود فى مقدمة كتابه عن أبى العباس المرسى إنه يكون بالإرادة والرياضة،فالإرادة هى أن تزيل الحواجز والرياضة هى أن تهاجر إلى الله قال تعالى"إن إلى ربك الرجعى"[13]،فالإرادة والرياضة هما تعبير مختصر عن وصف ابن سينا للطريق الصوفى وكيفية الدخول فيه.

يشرح لنا عبد الحليم محمود معنى الإرادة وهى أن تحطم كل العقبات التى تكون أمامك فى سبيل الوصول إلى الله فإذا ما تحققت هذه الإرادة القوية فكان لابد لها من الرياضة وهى أن يأخذ الإنسان العبادة وهى الذكر والذكر متاح للإنسان فى أى وقت من أوقات يومه ولكن الإنسان بحاجة إلى نوع خاص يسير مع الذكر وهو الصوم فلابد من أن يملأ الذكر قلب الإنسان بمصاحبة الصوم،فإذا توافرت الإرادة والرياضة أتيح للإنسان دخول الطريق إلى الله.

ثانياً:ملامح المنهج الصوفى عند عبد الحليم محمود

كان للتصوف السنى عند عبد الحليم محمود العديد من السمات والخصائص منها **سمة العقلانية** والتواصل والالتزام والمحبة والتطور والواقعية أما عن وضوح سمة العقلانية وظهور الاتزان فى منهجه وأسلوبه ومحاضراته فنجده يقول بإحدى محاضراته إن الدين نظام اجتماعى وتشريعى وأخلاقى فى حين أن الحضارة الحديثة و زعماؤها أرادوا أن يتخلصوا من الدين ورجال الدين لتحتل الإنسانية مكانه دون معارضة لها،ومفهومها هو أن الإنسان له كيانه الخاص وذاتيته وحدوده وتقديراته.

ومعنى ذلك أن **سمة الإنسانية** كانت غالبة على الروح الصوفية عند عبدالحليم محمود فقد كانت كلمة الإنسانية توحى بالانفصال عن الإلهية أو انفصال الإنسان عن الدين أو بالتعبير الحديث انفصال الدين عن الدولة،ومن وجهة نظرهم أنه لابد أن يسير الإنسان بإتجاه العقل وبالمنطق،وكان هذا الصراع سبباً فى البحث عن بديل يحل محل الدين،فما كان هناك سوى مصدرين أخرين هما العقل فيما يخص ماوراء الطبيعة والضمير فيما يخص الأخلاق[١٤].

ولكن سرعان ما تبين تخبط العقل لأنه يختلف من إنسان إلى آخر ومن بيئة لأخرى ومن ثقافة لأخرى،أيضاً الضمير ظهر فشله لأنه من الممكن أن يوحى إيحاءات مختلفة لأنه ليس إلا تعبير عن أثر البيئة والثقافة إذا كانت صالحة سيكون صالحاً والعكس صحيح وإنه ليس معصوماً لأنه إذا تخلص من الدين فإنه يوحى بالفساد.

إذن الشيخ عبد الحليم محمود توصل إلى أنه ليس هناك شئ ثابت مستقر معصوم اسمه الضمير،كما إنه ليس هناك قضايا يتفق عليها العقل فيما وراء الطبيعة،حينها ظهرت أسطورة التطور الإنسانى والتطور فى الفكر يعنى أنه ليس هناك قضايا ثابتة وهذا التطور لا يقف عند حد معين.

وإذا دخلت فكرة التطور هذه إلى الدين فإنها تقضى عليه وكما قال إمامنا إن الدين لا يدخله التطور قط لأنه[١٥] يعنى تغيير مستمر دائم إنها النسبية أو بمعنى آخر هى السوفسطائية وهى الفترة التى لم يكن فيها دين ثابت ولا خلق ثابت إنهم لا يؤمنون بأى شئ ثابت على الإطلاق.

يذكر عبد الحليم محمود فى حديثه عن أهمية الدين وضرورة التمسك به لأنه هو العصمة الكاملة يذكرنا بأن الإستسلام لله يقتضى شيئاً آخر هو الجهاد والكفاح من أجل الحق والخير وإعلاء كلمة الله ومن لم يُجاهد من أجل الإسلام فلا إسلام له،وهنا تبدو لنا الناحية التطبيقية والعملية للتصوف السنى لدى إمامنا عبد الحليم محمود.

وكانت **سمة الأخلاقية** أيضاً من أهم السمات التي تسمى بها التصوف السني المعتدل عند عبدالحليم محمود فقد ساهمت هذه السمة فى تكوين ملامح التصوف السنى عند عبد الحليم محمود وهذه السمة الأخلاقية يمكن ملاحظتها من خلال علاقة الشيخ بالمريد والالتزام بالفضائل الخلقية الإسلامية وفى مقدمتها الصدق والأمانة والمحبة والطاعة.

ثم تأتي **سمة التطبيق العملي لأحكام الشريعة** والتزام المريد بآداب الزهد والطاعة،ودليل ذلك كان عبد الحليم محمود رجلاً صوفياً متديناً زاهداً ولكنه كان عضو فعال ومؤثر فى مجتمعه بقرارته ومواجهاته مع من يُقلل من شأن الدين أو يُهمشه،وهو بذلك يُرسى أسس لشخصية المريد الذى يجب عليه أن يكون مجاهداً ومشاركاً لأبناء مجتمعه يؤثر فيهم بأخلاقه وأفعاله يكون مثال للإنسان المؤمن المتوكل على الله حق توكله وليس متواكلاً منعزلاً عن الواقع ومشاكله ولا يشارك فى حلها.

إذن لابد وأن يكون الإنسان ربانياً من أجل تحقيق رؤية الإسلام الصحيح عن طريق الإيمان بأن الله قد ضمن لنا الرزق وحدد لنا الآجال قال تعالى: "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون" [١٦]،إذن الأجال محددة والأرزاق مضمونة فالنتيجة هى الاتجاه إلى الله كلية وليس هناك مطلقاً عذر من الأعذار للمسلم لأن يتخاذل ويتكاسل،والطريق إلى الله لا يكون بالكسل فالأعمال عبادة ما دمت متجهاً بها إلى الله فكل حركاتك وسكناتك وأنفاسك إذا اتجهت بها إلى الله فهى عبادة.

والمسلم فى هذه الصورة فهو يقتدى برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى كفاحه وجهاده المستمر،فالكفاح لا يتجزأ من الرسالة الإسلامية فإنه الكفاح من اجل الله لأن الرسالة الإسلامية رسالة رحمة وكفاح ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو خير قدوة لنا على الإطلاق فى تطبيق المنهج الربانى فى الحياة.

تأتي سمة **القدرة على المواجهة** وهي سمة خاصة من سمات الإمام عبد الحليم محمود لأن هدفه هو أنْ يتكاتف جميع المخلصين فى العالم الإسلامى للوقوف لحماية الإسلام من الطمس سواء فى أهدافه أو فى نظمه أو فى تعاليمه ولكن هذا التكاتف الجمعى لا يلغى ولا يعفى المسلم من الاجتهاد والجهاد فى سبيل الله والعمل على إقامة و الالتزام بالمبادئ الإسلامية لأن فيها سعادة العالم.

ولقد قام عبد الحليم محمود باتخاذ كثير من المواقف الحاسمة التى تُعلى من قيمة الدين وتحافظ على مكانته عندما وقف أمام القرار الجمهورى الخاص بتقليص سلطات الأزهر وإعطائها لوزارة الأوقاف فى عهد الرئيس السادات،كما اعترض على صدور قانون الأزهر فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر القانون الذى كان من شأنه أن يتوسع فى التعليم المدنى ومعاهده العليا وإلغاء جماعة كبار العلماء.

ثالثاً: خطوات المنهج الصوفى عند عبد الحليم محمود

أ–التأثر بالقرآن والسنة.

من أولى خطوات المنهج الصوفى ما يذكره لنا الإمام عبد الحليم محمود [١٧] وهو ما قاله أبو عبد الرحمن السلمى من إشادة فى حق مشايخ الطرق الصوفية وإنهم ليسوا من أهل البدعة لما يوجد فى علم التصوف والإشارات من راحة وسكينة وطمأنينة وحلاوة،وإنهم لم يوجد فى جملتهم قط من يُنسب إلى شئ من بدع القدرية والروافض والخوارج،وهذه الإشادة تثبت لنا أن الصوفية يدور كلامهم حول التسليم والتفويض والتبرى من النفس والتوحيد بالخالق والمشئية الإلهية على عكس ما يفعلون أصحاب البدع الذين ينسبون الفعل والمشيئة والخلق والتقدير إلى أنفسهم وهذا الكلام بعيد كل البعد عما عليه أهل الحقائق من التسليم والتوحيد.

ويضيف الإمام عبد الحليم محمود توضيحاً لمعنى التفويض وهو الإعتقاد بأن لا شئ يكون إلا بإرادة الله،خاصة لأنه يجلب للعبد الخير الكثير فى الدنيا والأخرة،فيقول من وهبه الله معنى التفويض زالت عنه هموم الدنيا والخوف من العباد والطمع فيها فى أيديهم وترك النظر من المؤمن إلى حياته،فهذه راحة القلوب وفراغ منها لطاعة الله، وفى تحليل آخر لمعنى التفويض يقول الحارث المحاسبى فى كتابه "أعمال القلوب والجوارح"،أن التفويض عمل نية لا مؤنة له على القلب والبدن بل فيه الراحة للقلب والبدن،فالله تعالى ضمن للمفوضين إليه أمرهم كفاية ما أهمهم والتفويض من عبد متوكل على الله عزوجل للثقة به والمعرفة بنفاذ قدرته ورحمته ورأفته[١٨].

كما يذكر لنا الإمام عبد الحليم محمود ما قاله الإمام الغزالى عن الطريق الصوفى وصلته بالشريعة فقال الغزالى أن هذا الطريق يبدأ بالمجاهدة أو محو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بهمة على الله تعالى وعندما يصل الإنسان إلى تحقيق كل ذلك يصل فى النهاية إلى أن الله يتولى قلبه ويتكفل بتنويره بأنوار العلم،وعندما يتولى الله أمر القلب تفيض عليه الرحمة ويُشرق النور فى القلب وينشرح الصدر وتنكشف له أسرار الملكوت.

ب–تحقيق مبدأ العبودية الخالصة لله.

أما عن ثانى خطوات المنهج الصوفى فنجد الإمام عبد الحليم محمود يقول [١٩] إن من الحقائق التى لاشك فيها ولابد من توافرها فى الإنسان الذى يريد أن يسلك طريق الله تعالى،هى ضرورة يتأتى الإنسان طريق الله بالعبودية الخالصة لله وحده لا شريك له،فالعبودية الخالصة لله تعالى تكمن فى تحقيق قوله تعالى"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" [٢٠] ويصبح الإنسان من عباد الله

المخلصين ويجعل الله له حماية من الشيطان قال تعالى"إِنَ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ،وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا" [٢١]،ويعترف إبليس بإنه عاجز عن أن يضل من حقق العبودية الصادقة لله سبحانه قال تعالى "فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ"[٢٢] .

عند تحقيق الإنسان لمبدأ العبودية الخالصة لله تعالى وتأتى ثمار ذلك ومنها أن يغمره الله بالرحمة ويفيض عليه بالعلم والمعرفة قال تعالى"فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّن عِندِنَا وعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا علما" [٢٣] نجد إن ثمار هذا المبدأ لاتقف عند حد المعرفة فقط قال تعالى"وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنَصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرَابٌ وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً منَّا وذِكْرى لِأُولِي ٱلْأَلْبابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِّهِ ولاَ تَحْنَثُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" [٢٤].

كما يوضح لنا الإمام عبد الحليم محمود أن سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) كان أعظم من حقق مبدأ العبودية التامة الكاملة فكانت صلاته ونسكه وحياته بأكملها وموته لله رب العالمين قال تعالى"قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَ نُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ" [٢٥]،ويضيف عبد الحليم محمود أن رسول الله حقق العبودية بشكل تام فآتاه الله بعز الدنيا والآخرة [٢٦].

ويضيف الإمام عبد الحليم محمود [٢٧] أن الناس تتفاوت فى درجات الإيمان ويذكرنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"أن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء،فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجاوب أمسك الماء،فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان،لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله تعالى به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به"[٢٨]

إذن من أجل أن يسير المريد على منهج سليم يصل به إلى التقرب إلى الله،فعليه بأن يعى أن هناك درجات للإيمان يتفاوت فيها الناس ومن أجل الحفاظ على هذا الإيمان ثابتاً علينا بإتباع أوامر الله وأن نعبده حق العبادة الخالصة لوجهة الكريم عن طريق التوكل على الله وكثرة الذكر وكثرة التعلم والمعرفة فيما يخص شئوون ديننا ودنيانا وإعمال العقل فيما نتناوله من قضايا من حولنا وأن نتدبر آيات الذكر الحكيم ونطبق ما جاءت به من أحكام وأوامر ونواهى من أجل تحقيق مبدأ العبودية الخالصة لله.

ج–الجهاد.

إن أهم ما يميز أسلوب ومنهج الإمام عبد الحليم محمود هو كثرة استشهاده بمواقف وأمثلة عملية تؤكد وتوضح المغزى الحقيقى من التصوف وهو الكفاح والجهاد والعمل على رفع لواء الإسلام عالياً،فيذكر لنا بعض الأمثلة لكبار أئمة الصوفية أمثال "شقيق البلخى"١٩٤هـ وهو من قمم الصوفية الشامخة وكان يسارع إلى خوض المعارك ولا يبالى بمصرعه كان فارساً ومحارباً للعدو وكان واثقاً بالله هادئاً مطمئناً وكان سعيداً بجهاده ومات شهيداً فى معركة بطولية.

كما ذكر لنا أيضاً "حاتم الأصم"٢٣٧هـ وهو من القمم الصوفية وكان لا يهاب المعارك ويخوضها فى غير خوف وفزع،لقد كان كيانه كله فى ثقة مطلقة بالله وهذه الثقة تتمثل فى موقفه عندما أُخذ أسيراً وطُرح أرضاً واقترب منه العدو ليذبحه ولكن حاتم الأصم كان ينتظر ما الذى سيحكم به الله فيه فأُصيب العدو بسهم قتله وقام حاتم الأصم من جديد ليُكمل معركته وهو سليماً معافى.

المثال الثالث فهو لواحد من صفوة الصفوة الصوفية كما ذكر لنا الإمام عبد الحليم محمود هو أبو الحسن الشاذلى الذى كان قد تجاوز الستين من عمره وكُف بصره ومع ذلك ترك بيته وذهب إلى معركة المنصورة مساهماً قدر استطاعته،فقد كان يشجع الجنود ويبشرهم بالنصر وبالجنة نهاراً ويبتهل لله سبحانه وتعالى متضرعاً خاشعاً راجياً النصر والتوفيق للأمة الإسلامية ليلاً،وهذه لم تكن المرة الأولى التى يساهم فيها أبو الحسن الشاذلى فى الكفاح من أجل الوطن[٢٩].

د –العلم والمعرفة

ومن خطوات المنهج الصوفى هى اتباع الإسلام فيما يوجه به الإنسانية إلى مصدر آخر للعلم والمعرفة غير المناهج السائدة فى الحضارة الحديثة مثل المنهج الحسى التجريبى والمنهج العقلى البديهى،إن الإسلام يوجه الإنسانية إلى القلب أو الروح والبصيرة وهى المعرفة الإشراقية أو الكشفية أو الإلهامية [٣٠]وهذا المصدر يأتى متسقاً مع المنهج الصوفى الذى يتبعه عبد الحليم محمود وهو إجلاء البصيرة وتزكية النفس وتطهير القلب وهذا المنهج الصوفى لا يستند إلى قراءة أو تعلم بل بالذوق والقلب وتبدل الصفات وفى بداية الطرق للسالكين إلى الله تبدأ المكاشفات والمشاهدات،فعلى المريد كما يرى إمامنا هو أنه يتبع العلم الإلهامى الذى يستند إلى القلب فالإسلام يجمع الاتجاه العلمى الحديث إلى الاتجاه البصيرى قال تعالى"إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"[٣١] .

إن تجارب الصالحين على مر العصور تدل على ان تزكية النفس وتطهيرها والإلتجاء إلى الله والتقرب إليه كل ذلك يسمو بالإنسان إلى عالم من الروحانية تستشرق فيه النفس إلى الملأ الأعلى فتفيض عليها منه نفحات،وإلهامات ومعرفة لا تتأتى لذوى النفوس المادية الذين شغلوا بالدنيا عن الدين وبالخلق عن الخالق[٣٢].

إن السمع والبصر هما أساس العلم المادى علم التجربة والملاحظة والله سبحانه وتعالى يوجه الإنسان المسلم إلى الملاحظة والتجربة ويوجهه أيضاً إلى الاستشراف للهداية والنور القلبى عن طريق الإخلاص وحب الإنسانية والمعاونة فى الخير .

إن المنهج التجريبى هو منهج إسلامى ولكنه ليس بالشكل الإسلامى الكامل لأن المسلم لا يقف عند حد الطبيعة كغاية ولا يقتصر عليها كهدف وإنما غايته هى ما عبر عنه قوله تعالى"وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى"

إن الفرق بين الإسلام والحضارة الحديثة هو أن الحضارة الحديثة تقول أن العلم لا صلة له بالأخلاق ولا شأن له بالخير والشر ولكن الإسلام يجعل أسس العلم تتسم بالخير ويجعل غاياته منغمسة فى الخير .

كما يدافع الإمام عبد الحليم محمود عن علاقة الصوفية بالعلم ولقد وصفهم بأنهم يمثلون العلم الإسلامى فى قمته فى جميع الفروع"الفقه-التفسير-الحديث-الأخلاق"،كما ذكر فى كتابه"قضية التصوف-المنقذ من الضلال" أمثلة لأكبر أعلام الصوفية الذين لهم قيمتهم العلمية التى لاينكرها أحد مثل: حجة الإسلام "الغزالى" الذى جمع فى إحيائه أربعين كتاباً لكل منهم إستقلاليته وذاتيته وألف منها كتابه المحكم "إحياء علوم الدين"[٣٣]،كما قدم فى سهولة ويسر كتابه الذى إنهار أمامه عباقرة الفكر الفلسفى "تهافت الفلاسفة".

لقد أخمد حجة الإسلام بدعة الفلسفة والعبث الذى أحدثته فى الشرق الإسلامى،كما كان له أكثر من ثمانين كتاباً ورسالة ولازالت كتبه تُقرأ ويتم تداولها مما جعلها تتسم بطابع الخلود،كما هناك أيضاً مثال آخر وهو الإمام "أبى القاسم الجنيد" وهو أستاذ الحارث المحاسبى،لقد كان كتابه "اللغويون والأدباء" يحضرون الفقهاء والفلاسفة والمتكلمون والصوفية مجلسه من أجل ألفاظه وتقريره ودقة المعانى وروعة التحقيق ومن أجل إشاراته وحقائقه.

كما ذكر لنا الإمام عبد الحليم محمود مثال آخر عن علم من أعلام الصوفية وهو"الحارث المحاسبى" الذى كان مثقفاً كأحسن ما يكون المثقف وكان فقيهاً وكان محدثاً ومتكلماً وعالماً فى الأخلاق وصوفياً،ولقد بحث فى كل المشاكل التى كانت موجودة فى عصره فكان مرشداً

للناس فكان مجادلاً هادياً إلى الحق والحق فى نظره هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

ولقد ألف المحاسبى الكثير من الكتب فى شتى المجالات والعلوم،مثال آخر هى شخصية عالم من كبار العلماء وهو" أبو الحسن الشاذلى" الذى كان مصباحاً وهاجاً فى ميدان العلم كان عاشقاً للعلم والمعرفة والإطلاع،لقد كانت كتبه هى ما يغرسه فى نفوس تلاميذه ومريديه من حب للمعرفة والتعلم لكنه لم يكتب كتاباً واحداً ولكن ظلت آرائه باقية خالدة إلى الآن بفضل ما غرسه فى نفوس تلاميذه،فكان يقرأ عليهم الرسالة القشيرية وإحياء علوم الدين والمواقف فى التصوف فكان يجمع لهم ما بين الكتب اليسيرة فى الفهم والفكرة وبين الكتب العميقة وسامية الفكرة.

إن خلاصة ذلك يريد الإمام عبد الحليم محمود أن يُثبت أن الصوفية قوم إتخذوا من العلم عبادة لهم وعكفوا على دراسته تقرباً لله سبحانه وتعالى وأن حياة الصوفية هى منهج للعلم والعمل.

و–الطاعة والاتزان "أخلاقيات المريد".

و من أدب المريد كما أورد عبد الحليم محمود عن شهاب الدين السهروردى"٦٣٢هـ" أن يلزم السكوت ولا يقول شيئاً فى حضرة شيخه إلا إذا استأمره و وجد من الشيخ فسحة فى ذلك، وفى استماع المريد إلى كلام الشيخ تحقيق له مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله،كما أن تطلعه إلى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام إثبات شئ لنفسه وهذه جناية المريد وينبغى أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ.

كما أن المريد الصادق لا يحتاج إلى السؤال [٣٤] باللسان فى حضرة الشيخ بل يبادئه بما يريد لآن الشيخ يكون مستنطقاً نطقه بالحق،وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه إلى الله ويستمطر ويستسقى لهم فيكون لسانه وقلبه فى القول والنطق مأخوذين إلى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين إلى ما يفتح به عليه،لأن الشيخ يعلم تطلع الطالب إلى قوله واعتداده بقوله.

فالقول كالبذر يقع فى الأرض فإذا كان البذر فاسداً لا يُنبت وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها،فالشيخ يُنقى بذكر الكلام عن شوب الهوى ويسلمه إلى الله ويسأل الله المعونة والسداد،ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق للحق.

فالشيخ للمريدين أمين الإلهام كما أن جبريل أمين الوحى فكما لا يخون جبريل فى الوحى لا يخون الشيخ فى الإلهام، وفى هذا اقتداءً برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فالشيخ مقتدٍ به ظاهراً وباطناً فهو الذى لا ينطق عن الهوى لا يتكلم بهوى النفس.

وفى حديث عن أهمية العلم تحدث الإمام عبد الحليم محمود [٣٥]عن آداب التعلم وقال:

(إن كل ما يوحى بالخشية من الله هو عبادة له وتحدث القرآن عن العلم بالإسلوب المباشر و الإسلوب القصصى،وفيما يتعلق بالإسلوب القصصى سنروى قصة الخضر عليه السلام وما يهمُنا هو آداب التعلم فى القصة فنجد أن سيدنا موسى عليه السلام سافر سفراً شاقاً مُجهداً ويقول عنه"لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا" [٣٦] ويلتقى بالخضر ويقول له سيدنا موسى "هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا"[٣٧] .

هنا يبتدئ سيدنا موسى كلامه بكلمة هل ولم يقل أنا أريد –أنا أرغب،فهذه البداية تعنى إنه يترك شخصيته و إرادته وعزيمته ترك كل هذا وراءه لأنه أمام أستاذ يتعلم منه،ثم قال كلمة أتبعك ولم يقل أزَاملك أو أأُرافقك أو أُصاحبك هذا من آداب المتعلم أن يترك المريد أو المتعلم إراداته وسيطرته وتحكمه خلفه ولكن الأستاذ لم يترك مكانته من استاذيته ونظر لسيدنا موسى وقال "إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا" [٣٨].

فاللعلم مكانة شريفة ومن شروطه الصبر فجملة الخضر عليه السلام هى استثارة أكثر منها رفض ويُجيب عليه سيدنا موسى عليه السلام فى تواضع جم وفى خضوع كامل "سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَاللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا"[٣٩] ثم قال الخضر عليه السلام "فَإِنَ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا" [٤٠]،و بهذا لم يخرج الأستاذ عن أستاذيته وهو يعلم إنه يُخاطب رسول من عند الله هنا نجد شكل الأُستاذية الكاملة والأستاذ الكامل مع مريده يعرف متى يستفيض فى الحديث إذا كان الأمر يحتاج للاستفاضة ومتى يُوجز إذا كان الأمر يحتاج إلى الإيجاز.)

ومن آداب المريد إذا كان له كلام مع الشيخ فى شئ من أمر دينه أو دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له حال الشيخ هل هو مُستعد له ولسماع كلامه أم لا فكما أن للدعاء أوقاتاً وآداباً وشروطاً فالقول مع الشيخ أيضاً آداب وشروط إذن على المريد الطاعة والإتزان بين يدى الشيخ.

رابعاً: نتائج البحث

١. أظهرهذا البحث مدى العقلانية والواقعية التي اتسم بها التصوف السني عبد الحليم محمود والإهتمام بمبادئ التفكير والتدبر في الطبيعة والكون لأن الإسلام فى حقيقته هو عملية إكتشاف السنن الكونية وأن الإسلام هو دين العقل.

٢. أثبت البحث أن الطريق الصوفى هو المنهج السليم والطريق المستقيم الذى يقود البشر إلى طريق السعادة والكمال،لأنه يُكملهم بحُسن الخلق وتهذيب النفس وكمالها ودليل ذلك أن التصوف عند عبد الحليم محمود يقوم على العمل والتطبيق وبناء النفس،ولايقوم على النظر او مجرد فكر فالتصوف عندهم تدريب النفس على العبودية وردها إلى أحكام الربوبية.

٣. أثبت البحث أن التصوف السنى المعتدل الذى قدمه عبد الحليم محمود يقوم على دعامة العقل والتعقل فقد أكد لنا الإمام عبد الحليم محمود فى كتاباته أن الدين يعد هادياً للعقل وضامناً للإنسان سبل التفكير السليم المعصوم من الخطأ نتيجة لضبطه العقل وكبح جماحه،والتصوف السنى من مهمته ضبط النفس وكبح جماح الشهوات والالتزام بالطاعات والالتزام بما أمر به الشرع والسنة لذا فالتصوف جاء متأثراً بالدين الإسلامى ولا يعد تحريفاً عن الدين الإسلامى.

٤. يتضح لنا من خلال كتابات الإمام عبد الحليم محمود رؤيته عن التصوف التى يُثبت بها أن للتصوف مصدر أساسى هو الذوق والمشاهدة اللذان يصل إليهما المريد عن طريق الخلوة والرياضة والمجاهدة وتزكية النفس وتطهيرها.

٥. كما كان الإمام عبد الحليم محمود من المدافعين عن التصوف من حيث نشأته وإثبات أن أصوله إسلامية خالصة ولا يوجد لها علاقة بالتصوف المسيحى أو التصوف اليهودى وأرجع هذا إلى أن كلاً من التصوف المسيحى واليهودى لا يوجد بهما فكرة الإسناد التى عن طريقها يصل التأثير إلى داخل المريد عن طريق شيخه.

٦. كما أوضح أن التصوف ليس له أصول هندية أو فارسية أو يونانية،فالتصوف إنطلق من قلب الشريعة الإسلامية ومنهجه هو إتباع ما جاء به الكتاب والسنة من اوامر ونواهى،ومن لا يتبع ذلك فهو لن يصل إلى درجات الصوفية لأن التصوف أساسه الإقتداء بالنبى عليه الصلاة والسلام وإتباع كتاب الله عز وجل.

٧. كان للإمام عبد الحليم محمود مواقف واضحة تجاه خدمة التصوف والدفاع عنه وعن أصوله ونشأته فذهب فى كتابه "الإسلام والعقل –التوحيد الخالص" إلى الدفاع عن التصوف من الخلط الذى أحدثه الحلاج وإبن عربى فيما يتعلق بالحديث عن وحدة الوجود من إنه الموجود متعدد "سماء –أرض –شمس –قمر" أما الوجود فهو واحد ولا شك فيه هو وجود الله المستغنى بذاته عن غيره وهو مانح الوجود لكل موجود.

٨. كما ذهب فى كتابه "قضية التصوف –المنقذ من الضلال" إلى أن التصوف أصله إسلامى يعتمد على تحقيق مبدأ العبودية الخالصة لله وتزكية النفس وتطهيرها وإعمال مبدأ التخلى والتحلى الذى قال به الغزالى من قبل،التخلى عما هو مذموم والتحلى بكل ما هو مرغوب كما أن التصوف يُعد فى حد ذاته جهاد للنفس مثل الجهاد فى ساحة الحرب،كما ذكر لنا أمثال للصوفية المجاهدين مثل: شقشق البلخى–حاتم الأصم–أبو الحسن الشاذلى وكانوا ممن يسعون فى الأرض متوكلين على الله ومفوضين أمرهم له لا متواكلين فالتصوف مرتبط بالإلتزام والتمسك بالشريعة إلتزاماً تاماً.

٩. أثبت هذا البحث أهمية التصوف السنى فى حياتنا المعاصرة وأكدت على أهمية العلم وترويض وتهذيب النفس التى هى من أسس التصوف السنى العملى،وأن التصوف السني المعتدل هو الذى يعيد الإنسان إلى طريق الله وإلى أخلاقه الحميدة وترويض النفس يكون بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله كل ذلك من أجل الحصول على رضا الرحمن،لأن التصوف عند المسلمين هو علم وعمل العلم بالأحكام الشرعية المستنبطة من الكتاب والسنة و العمل بها.

الهوامش:

[١] –مقال بعنوان (الإمام عبد الحليم محمود)–موقع قصة الإسلام –تاريخ النشر١٢–٥–٢٠١٩– المصدر–دار الإفتاء المصرية

[٢] – مقال بعنوان عبد الحليم محمود الصوفى الثائرالذى أعاد هيبة الأزهر–بتاريخ١٢ مايو٢٠١٨https://www.masrawy.com

[٣] –سورة التوبة–اية رقم ١١٢

[٤] –درس مسجل للإمام عبد الحليم محمود عن شرح التصوف نُشر بتاريخ٢٥–٣–٢٠١٠

[٥] – عبد الحليم محمود–العارف بالله أبى العباس المرسى–دار الشعب–١٩٧٢–القاهرة–مصر–ص١٧

[٦] – عبد الحليم محمود–قضية التصوف المدرسة الشاذلية–٤٣٤–٤٣٥

[٧] –سورة البقرة–اية رقم ٢٢٢

[٨] – رواه ابو هريرة –المحدث الالبانى–رقم–٤٩٨–المصدر تخريج كتاب السنة –اسناده صحيح

[٩] –سورة الحديد–الاية ٢٣

[١٠] – عبد الحليم محمود–قضية التصوف المنقذ من الضلال–ص٧٠

[١١] – سورة الفتح–اية١٨

[١٢] – عبد الحليم محمود–قضية التصوف المنقذ من الضلال–ص٩٠

[١٣] –سورة العلق– الاية ٨

[١٤] – عبد الحليم محمود –الاسلام والعقل–ص٢٢٢–٢٢٤

[١٥] – عبد الحليم محمود –الاسلام والعقل–ص٢٢٦–٢٢٧

[١٦] – سورة الذاريات–اية رقم٢٢

[١٧] – عبد الحليم محمود–(قضية التصوف)–المنقذ من الضلال–ص١٤–١٥

[١٨] –عبد الحليم محمود–استاذ السائرين(الحارث المحاسبى)– دار المعارف–القاهرة–ص٣٠٩–٣١٠

[١٩] – عبد الحليم محمود–(قضية التصوف)–المنقذ من الضلال –دار المعارف–القاهرة–ص٧

[٢٠] – سورة الفاتحة–الاية٥

[٢١] – سورة الإسراء–اية٦٥

[٢٢] – سورة ص–اية٨٢

[٢٣] – سورة الكهف–اية ٦٥

[٢٤] – سورة ص–اية٤١–٤٤

[٢٥] – سورة الانعام–اية ١٦٢–١٦٣

[٢٦] – عبد الحليم محمود––(قضية التصوف)–المنقذ من الضلال–ص٩

[٢٧] –عبد الحليم محمود–(قضية التصوف)–المنقذ من الضلال–ص٢٦٠

[٢٨] –الراوي : أبو موسى الأشعري – المحدث : ابن حبان –المصدر : صحيح ابن حبان – الصفحة أو الرقم: ٤ – خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه

[٢٩] – عبد الحليم محمود –(قضية التصوف)–المنقذ من الضلال –ص١١–١٢

[٣٠] – عبد الحليم محمود –منهج الاصلاح الاسلامى فى المجتمع–الهيئة المصرية العامة للكتاب–٢٠٠١–ص٩٦–٩٧

[٣١] – سورة الاسراء–٣٦

[٣٢] –عبد الحليم محمود ––(قضية التصوف)–المنقذ من الضلال–ص٢٥٣

[٣٣] –عبد الحليم محمود–"قضية التصوف–المنقذ من الضلال"–ص١٧–١٩

[٣٤] – شهاب الدين السهروردى–عوارف المعارف٢–تحقيق–عبد الحليم محمود–محمود بن الشريف–ص٢٠٧

[٣٥] – حديث مصور عن أهمية العلم لفضيلة الإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى المملكة العربية المغربية بحضور جلالة ملك المغرب.

[٣٦] – سورة الكهف–الاية٦٢

[٣٧] – سورة الكهف–الاية٦٦

[٣٨] – سورة الكهف–الاية ٦٧

[٣٩] – سورة الكهف–الاية٦٩

[٤٠] – سورة الكهف –الاية٧٠